

التدخل السوفياتي في أفغانستان، ومن النفوذ السوفياتي في بعض الدول المجاورة، كما تتساعل عن مجرى التطورات المستقبلية في ميدان الطاقة في المعسكر الاشتراكي. وهناك دول عربية أخرى، تمثل الغالبية في الواقع، تتمسك بسياسة عدم الانحياز وتدعو إلى إبعاد الشرق الأوسط كلياً عن نزاعات القوى العظمى، مخافة تعريض الأمن في المنطقة، والانغماس في نزاعات إضافية. والفريق الثالث من الدول العربية أقام علاقات استراتيجية مع الاتحاد السوفياتي ويجري معه تنسيقاً في الحقلين السياسي والعسكري.

هذا الشعب في الآراء الذي يسود الصفوف العربية حيال السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ظهرت معالمه الأولى في الخمسينات. ومع ذلك فإن ما لن تدرکه الإدارات الأميركية المتعاقبة — أو لعلها لا تستطيع — على الرغم من إخفاقها الذريع في بناء تحالف استراتيجي عربي معاد للاتحاد السوفياتي، هو حقيقة أنه ليست الحكومات العربية فقط، بل الرأي العام العربي قاطبة، يرى في التهديد الاسرائيلي الخطر الداهم اولاً والعاجل أكثر، خطراً على امن العالم العربي، بل وعلى وجوده بالذات، بما يفوق أهمية أو خطورة أي تهديد سوفياتي. وهذا الخطر الاسرائيلي تكشفت حقيقته مرات ومرات من جديد من خلال الهجمات على جنوب لبنان، والقصف الوحشي العشوائي للمدنيين في بيروت، والغارة على منشأة الأبحاث النووية في العراق.

إن ردود الفعل العربية على جوانب أخرى من السياسة الأميركية في الشرق الأوسط تكاد تجمع على الاستياء والخيبة. فاتفاقيات كامب ديفيد مثلاً رفضتها الدول العربية كافة — باستثناء مصر طبعاً — لأنها أخفقت في الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير. كما أنها اتفاقيات واهية لأنها لم تكبح السياسات التوسعية الاسرائيلية، كما لم تكفل الانسحاب الاسرائيلي من المناطق العربية المحتلة، بما فيها القدس.

وفي هذه الأثناء، تقف الأمة العربية على مفترق حاسم في الظرف الراهن، فيما تمعن الفكر في التناقض الصارخ بين الازعان الغربي حيال العدوان الاسرائيلي الفاضح، وبين المطالب المستمرة الموجهة إلى العرب المنتجين للنفط من جانب الدول الغربية الصناعية، تدعوهم إلى الاعتدال في تسعير النفط وإلى ضمان الأمن للامدادات النفطية.

وأقل ما يمكن أن يقال في الاستجابة الغربية للمأزق العربي — الاسرائيلي المستمر، هو أنها سلبية وبليدة. فالمبادرة الأوروبية التي ملأوا الدنيا كلاماً عنها قامت على أساس واقع الحال، فاتفاقيات كامب ديفيد فقدت زخمها، ومسيرة الحكم الذاتي عاجزة عن توفير حل للقضية الفلسطينية يكتب له البقاء. وطرح الأوروبيون في السوق السياسي أحاديث عن صيغة بديلة تتضمن حق تقرير المصير للفلسطينيين، وإشراك منظمة التحرير الفلسطينية في محادثات السلام المقبلة، لكنهم أخفقوا في تقديم أي إسناد عملي من أي نوع لمبادرتهم. والآمال الباهتة التي كانت معلقة على مبادرة أوروبية مستقلة، تلتقت ضربة على رأسها وواجهت نكسة رئيسية نتيجة لانتخاب سبتران رئيساً لفرنسا. فما تكشف حتى الآن من بيانات وأفعال الإدارة الفرنسية الجديدة هو أنها لا تعتزم البتة التثبث بالدور